

الترجمة في الفكر النهضوي العربي

عبد اللطيف عبيد

المعهد العالي للغات. تونس

ليست الترجمة تقنية لغوية فحسب، وإنما هي أيضا "فعل إبداعي، ونشاط لغوي، وضرورة حضارية، وموقف إيديولوجي"¹ تطورها كلها طبيعة العلاقات المتبادلة بين مجتمعي النص المترجم منه والمترجم إليه في لحظة تاريخية معينة، ومن هنا يستمد الحديث عن موضوع الترجمة في الفكر النهضوي مشروعيته. على أن تناول هذا الموضوع يقتضي، بداية، توضيح المقصود بالفكر النهضوي العربي وتحديد مجاله الزمني، قبل الانتقال إلى دراسة علاقة الترجمة بالاقتراب من الغرب وموقف الفكر النهضوي منهما، والتعريف بالإنتاج الترجمي من حيث عدد المترجمات ولغاتها ومواضيعها والفئات التي استهدفتها وعلاقة كل ذلك بالتوجهات النهضوية، وأخيرا محاولة الكشف عن حقيقة الدور الفعلي الذي قامت به الترجمة في المشروع النهضوي.

1. النهضة مفهوما ومجالا زمنيا:

¹ - محمد حافظ دياب: "الترجمة وأسئلة النهضة العربية"، الوحدة، س6، ع61 - 62 (أكتوبر - نوفمبر 1989)،

تتنوع الرؤى والمقاربات المتعلقة بـ"النهضة العربية" تنوعا بينا، وهو ما يجعل تعريف هذا المصطلح وتحديد مفهومه أمرا لا يخلو من الصعوبة. وإذا كانت المعاجم اللغوية تعرف "النهضة" بأنها "الطاقة والقوة" و"الوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره"¹، وتعرف "عصر النهضة" بأنه "عصر تقدم اجتماعي وفكري وأدبي في أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر"² و"عصر النهضة العربية" بأنه "وثبة في سبيل التقدم الفكري والأدبي والاجتماعي شهدها العرب في القرن التاسع عشر"³، فإننا لا نكاد نعثر - فيما اطلعنا عليه من مقالات وكتب بما فيها المخصصة للنهضة مثل كتاب سلامة موسى: "ما هي النهضة"⁴ - تعريفا يحدد مفهوم النهضة تحديدا جامعا دقيقا. وقد سعى جورجى زيدان في "تاريخ آداب اللغة العربية" إلى بيان ما سماه "مميزات هذه النهضة" بدل تحديد مفهومها، مؤكدا أن الدولة العربية في عهد النهضة الأخيرة "تأثرت بتيار المدنية الأوروبية، وهي تختلف عن مدنيها الإسلامية شكلا وأسلوبا، فجارتها وإن لم تخرج عن دائرتها الخاصة"⁵، وفي رأي جورجى زيدان، تتمثل أهم مميزات هذه النهضة المتأثرة بـ"مدنية أوروبا" ويسمىها مرة "النهضة" وأخرى "النهضة الأدبية" - في إنشاء المدارس الحديثة، والطباعة، والصحافة، وروح الحرية الشخصية، والجمعيات الأدبية والعلمية والمكتبات العامة، والمتاحف،

¹ - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط3، القاهرة 1985، ص 997 (مادة: نهض).

² - صبحي هموي وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت 2000، ص983 (مادة: عصر).

³ - الموضوع نفسه

⁴ - سلامة موسى: ما هي النهضة، ط1، مكتبة المعارف، بيروت 1962، ص144

⁵ - جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، م. 2، ج4، دار مكتبة الحياة، بيروت 1992، ص363.

والتمثيل، واشتغال الإفرنج بآداب اللغة العربية¹. وشبيه بهذا ما ذهب إلىه المستعربة نادا توميش (N. toumiche) في فصل "نهضة" بدائرة المعارف الإسلامية عندما سعت إلى تتبع "تجليات هذه الحركة" -أي النهضة- بدل تعريفها، محاولة التفرقة بينها وبين "حركة الإصلاح" القائمة أساسا على التجديد الديني تجديدا ذاتيا أو داخليا. وفي رأيها أن النهضة وليدة عامل خارجي هو الاتصال بين الشرق والغرب وهي تحرر من قيود الماضي ورفض لها، وانطلاقة نحو المعاصرة المتمثلة في نماذج أجنبية، وثقة بالمستقبل، وإيمان قاطع بحتمية تقدم المجتمعات، لذا فإن التجليات التي ميزت النهضة تتمثل في الحوار الذي أقامته مع الغرب، وفي اعتمادها الترجمة العلمية ثم الأدبية أداة من أدوات ذلك الحوار، وظهور جيل من الرواد في مجال المسرح والقصة والرواية بما طور الأدب وأدخل فيه أجناسا جديدة مثلما طور اللغة العربية نفسها، وظهور الصحافة وما كان له من تأثير لغوي وفكري عظيم...الخ².

وإذا كانت النهضة توجهها نحو المعاصرة وحالة تغير وتجدد عامة شملت أجزاء كبيرة من الوطن العربي ومست معظم جوانب الحياة فيه الرسمية منها والشعبية، فإن المقصود بـ"الفكر النهمضي" هو تلك التيارات الفكرية التي شكلت ما يعرف بـ"التنوير العربي" وهي عموما، تيار الإصلاح الديني

¹ - المرجع نفسه، ص 375.

² - فصل "نهضة" (Nahda) في دائرة المعارف الإسلامية (EI)، الطبعة الفرنسية الجديدة، المجلد VII

والسياسي الليبرالي ، والعلمي العلماني¹. وهذا التنوير العربي لا يزال، في رأي بعض الدارسين متواصلاً، ف"منذ فجر النهضة العربية، والعرب يعيشون عصر تنوير عربي، ويحنون بعد انتكاسة التنوير الأول إلى تنوير عربي جديد"².

أما بالنسبة إلى المجال الزمني للنهضة، فإنه إذا كان بعض الباحثين يؤكدون أنه "ليس للنهضة العربية حدود واضحة متفق عليها، بل هي تيار متصل، بعيد الجذور، كثير الروافد، يختلف اتساعاً وتأثيراً وأهمية في البلدان التي ورثت حضارة العرب، وانتظمتها لغة الضاد وشكلت العالم العربي الحديث"³، وأنها لا تبدأ "بحملة بونايرت على مصر (1789 - 1801)، وإن تكن هذه الحملة بمنزلة باعث قوي متشعب الجوانب المشعة الرائدة، خصوصاً فيما يختص بالصلة والتعامل بين الغرب والمشرق العربي"⁴، وإن الرأي المتناقل يردده الخلف عن السلف بأن عصر الانبعاث، أو اليقظة العربية، أو النهضة الحديثة قامت مع حملة بونايرت على مصر (1798) هو رأي يشوبه الكثير من التسرع والإجحاف بحق القرون والمراحل السابقة لهذه الحملة، خصوصاً لبنان⁵، الذي عرف في الجبل والسواحل والمدن وجبل عامل حركة أدبية واتصالاً بالغرب منذ القرن السادس عشر

¹ - حسن حنفي: "نحو تنوير عربي جديد - محاولة للتأسيس"، عالم الفكر م29، ع3 (يناير - مارس 2001)، (ص 75 - 94)، ص 76.

² - المرجع نفسه، ص 75

³ - وليم الخازن: تبشير النهضة الأدبية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1993، (192 ص)، ص11.

⁴ - المرجع نفسه، ص 168.

⁵ - المرجع نفسه، ص12.

بالخصوص، وخاصة عبر المدرسة المارونية وما أنجزته من ترجمات إلى العربية، وإن غلب عليها الطابع الديني التبشيري¹، فإن أغلب الدارسين يجعلون من حملة بونابرت على مصر أو خروجها منها البداية الأولى لهذه النهضة التي بدأت بمصر وأشعت منها على الشام وتونس وسائر المناطق العربية. فجورجي زيدان يرى أن هذه النهضة تبدأ "بخروج الفرنسيين من مصر سنة 1801 ولا تزال"²، وألبرت حوراني يجعل المجال الزمني للفكر العربي في عصر النهضة في الفترة الواقعة بين حملة بونابرت على مصر ونهاية الحرب العالمية الثانية (1798 - 1939)³.

وتعتبر دائرة المعارف الإسلامية أنه إذا كان من الجائز أن نجعل بداية النهضة في القرن التاسع عشر مع الطلاب المبعوثين إلى أوروبا والمحاولات التحديثية الأخرى لمحمد علي (1805 - 1848) ثم الخديوي إسماعيل (1863 - 1879)، فإنه يمكن أن نعتبر أن نهايتها تقع غداة الحرب العالمية الأولى عندما قضى الاحتلال الأجنبي، الذي تواصل في العديد من البلدان العربية أو فرض عليها حديثاً، على الأمل في التحرر الذي اتسم به الحوار بين الوطن العربي والغرب، وحلت محله الآن مشاعر الإحباط والرفض⁴، أما طيب تيزيني ففي عرضه لـ "مشروع النهوض العربي

¹ - انظر: أ. لطيف زيتوني: حركة الترجمة في عصر النهضة، دار النهار، بيروت 1994، '190 ص)، ص13-16.

ب. وليم الخازن: المرجع المذكور سابقاً، ص 47 - 54.

² - جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، ص365..

³ - ألبرت حوراني (ترجمة كريم عزقول): الفكر العربي في عصر النهضة 1798 - 1939، دار النهار، بيروت 1977، 472 ص.

⁴ - فصل "نخسة" مرجع سابق، ص904

التنويري¹، يتحدث عن "النهضة الثانية" التي حدثت في رأيه منذ أواخر القرن الثامن عشر، وحتى أوائل القرن العشرين قياساً بـ "النهضة الأولى" التي حدثت في العصور الممتدة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وبـ "النهضة الثالثة" التي برزت صيغ أولى لها "منذ خمسينيات القرن العشرين حتى بداية تسعينياته"، وهي فترة عرف فيها الفكر السياسي العربي الراهن تداخلاً بين ثلاثة مفاهيم مركزية هي: النهضة، والثورة، وحركة التحرر الوطني العربي².

والحقيقة أن المقام لا يسمح بمزيد الخوض في مناقشة مفهوم النهضة، وخاصة حدودها الزمنية، لذلك فإننا، لأغراض هذه الدراسة عن الترجمة في الفكر النضوي، نتبنى الموقف الشائع لدى أغلبية الدارسين والذي يجعل من حملة بونابرت وما تلاها من تولي محمد علي حكم مصر بداية لها. أما نهايتها فإننا نجعلها في نهاية القرن التاسع عشر بعيد احتلال فرنسا لتونس 1881، وإنجلترا لمصر 1882، وما ترتب على هذا الاحتلال من نكسة واضحة لحركة الترجمة، كما سنبينه لاحقاً، بسبب هيمنة اللغة الأجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) بعد أن كانت الترجمة إلى العربية أساساً إحدى الأدوات الرئيسية للنهضة في مختلف المجالات: التعليمية، والصناعية، والعسكرية، والصحية، والزراعية، والإدارية... الخ، فقد أدى الاحتلال الأجنبي إلى انقلاب موازين القوى لصالح الغرب الاستعماري، وأحدث تغيرات عميقة في علاقة الوطن العربي به، وفي الموقف من لغته

¹ - طيب تيزيني: "بيان في النهضة والتنوير العربي باتجاه مشروع نضوي عربي تنويري جديد"، عالم الفكر،

م 29 ع 3 (يناير - مارس 2001)، (ص 49 - 73)، ص 59.

² - الموضوع نفسه

وثقافته التي لا تزال آثاها قائمة إلى يومنا هذا في حياتنا الفكرية، وأوضاعنا اللغوية، بما فيها الترجمة إلى العربية حجا ونوعا وكيفا.

2. موقف الكفر النهمضي من الترجمة خاصة والاقتباس عن الغرب عامة:

أشرنا من قبل إلى أن الترجمة قد عدت أداة رئيسية من أدوات تحقيق النهضة التي كانت تتطلع إليها النخبة السياسية والفكرية منذ بدايات القرن التاسع عشر. بل أن "النهضة، هي، في تيارها العريض، حركة ترجمة، سواء اتخذت الترجمة الشكل المباشر من خلال نقل المؤلفات أم الشكل غير المباشر من خلال نقل الأفكار¹. وخلال كل فترات عصر النهضة نجد أن الحواجز بين الترجمة والتأليف تكاد تضيع، وهو ما يدعونا إلى عدم التهوين من شأن الكتب المترجمة بسبب انخفاض عددها، في أغلب الفترات، عن عدد الكتب المؤلفة مثلما سيأتي بيانه، كما يدعونا إلى اعتبار حركة الترجمة عنصرا من عناصر حركة أشمل هي ما سمي بـ"اقتباس التمدن الغربي"

ويعد الاقتباس من الحضارة الغربية، أملا في التخلص من التأخر وتحقيق التقدم، من أهم أسس السياسة التحديثية لدى محمد علي الذي تنسب إلى عهده أهم حركة ترجمة عرفها عصر النهضة العربية الحديثة. فـ"قد كان محمد علي يؤمن إيمانا راسخا بضرورة الإصلاح الجذري للسلطنة العثمانية وولاياتها، خشية وقوعهما معا في قبضة الاستعمار الأوروبي. وقد أدرك، منذ البداية، أن حركة التحديث هذه لن تتم دون الاقتباس عن النماذج

¹ - جورج طرابيشي: "الترجمة والأيدولوجيا المترجمة"، الوحدة، س6، ع 61 - 62 (أكتوبر - نوفمبر

1989)، (ص 30 - 34)، ص 30.

الغربية المتطورة. فتحديث الجيش وتأهيله لحماية الأرض والشعب والمؤسسات يحتاج إلى فكر عسكري جديد، وإلى صناعة قوية تدعمه، وإلى مدارس وطنية ترفده بالشباب المتعلم تعليماً عالياً، وإلى موارد اقتصادية كبيرة تجلبها الدولة المركزية من القوى المنتجة، أي المزارعين والحرفيين، وإلى بعثات علمية للتخصص العلمي والتقني في أوروبا، وإلى رقابة صارمة للدولة المركزية على التجارة المحلية والسلع المعدة للتصدير الخارجي، وإلى مجالس إدارية تعمل بإشراف السلطة المركزية وإلى مجالس تمثيلية تضم أعضاء يمثلون مختلف الطوائف والمهن، وإلى الحد من نفوذ السفراء والقناصل الأجانب الذين يستغلون نظام الامتيازات الأجنبية، ليمارسوا ضغوطاً مباشرة في الإدارة العثمانية على جميع المستويات¹.

ونجد في مواضع عديدة من مؤلفات الطهطاوي (1801-1873) ومترجماته - وهو زعيم حركة الترجمة في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر ومنفذ سياسة محمد علي التعليمية والترجمية - إشارات صريحة إلى ضرورة الأخذ عن الغرب واقتباس عناصر التمدن الأوروبي ما لم تخالف الشريعة الإسلامية. ففي مقدمة "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" يشير الطهطاوي إلى أنه أنطلق في رحلته "بحث ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع، فإن كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر ثابت شائع، ولا الحق أحق أن يتبع. ولعمر الله إنني مدة إقامتي بهذه البلاد في حسرة على تمتعها بذلك وخلو ممالك الإسلام منه (...). ومن المعلوم أنني لا أستحسن إلا ما لم

¹ - مسعود ضاهر: النهضة العربية والنهضة اليابانية - تشابه المقدمات واختلاف النتائج، سلسلة عالم

المعرفة، الكويت 1999، (399ص)، ص 130.

يخالف نص الشريعة المحمدية (...) وأسأل الله سبحانه وتعالى (...) أن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم"¹. وفي تونس تزعم المشير أحمد باي (1837-1855) المحاولة الإصلاحية الأولى في عصر النهضة، وهي محاولة سيطر عليها الطابع العسكري وتشبهه، في وجوه عديدة، محاولة محمد علي² في مصر بل إن "أحمد باي كان ينظر بعين الغيرة إلى انتصارات وقوة باشا مصر محمد علي. وقد زار هذا الباي فرنسا سنة 1846، وأعجب هو ومراقفوه وخاصة مؤرخه أحمد بن أبي الضياف (1802-1874) - الذي كان مطلعاً على كتاب الطهطاوي "تخليص الإبريز" ومعجبا به مثلما عبر عن ذلك في كتابه المشهور "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"³ - بتقديم فرنسا وسائر أقطار أوروبا ماديا ومعنويا أو حسا ومعنى حسب المصطلح المتداول في القرن التاسع عشر.

وفي "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" للمصلح التونسي الشهير الوزير خير الدين (1822-1889) الذي تزعم الحركة الإصلاحية الثانية في تونس قبل الحماية نجد المؤلف حريصاً على الدعوة إلى الاقتباس من

¹ - رفاة رافع الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، في: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، دراسة وتعليق محمود فهمي حجازي، دار الفكر العربي، القاهرة، (دت)، (522ص)، ص 141 - 142.

² - الحبيب الجناحي: "الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، حوليات الجامعة التونسية، 6 (1969)، (ص 111 - 163)، ص 116.

³ - أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (دولة أحمد باي)، تحقيق أحمد عبد السلام، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1985، (313 + 45ص)، ص 139.

أوروبا وخاصة "مستحدثاتهم المتعلقة بسياساتي الاقتصاد والتنظيم¹.
و"الغرض من ذكر الوسائل التي أوصلت الممالك الأوروبية، إلى ما هي
عليه من المنعة والسلطة الدنيوية، أن نتخير منها ما يكون بحالنا لائقا،
ولنصوص شريعتنا مساعدا أو موافقا، عسى أن نسترجع منه ما أخذ من
أيدينا، ونخرج باستعماله من ورطات التفريط الموجودة فينا..."².

وفي هذا الإطار التحديثي القائم على الاتصال بأوروبا والاقتباس منها
يتنزل، إذا، الاهتمام بالترجمة كما يتنزل الاهتمام باللغات الأوروبية التي
تتكلمها أمم عدت متفوقة في التمدن المادي والمعنوي. فمعرفة اللغات -
حسب عبارة الشيخ محمد السنوسي (1900-1950) أحد رواد حركة
النهضة بتونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - "من أعظم
أسباب تواصل الأمم (...) ولا شك أن تعلم الألسن في الشريعة الإسلامية
لمنفعة المسلمين بالتعلم لترجمة ما يحتاج إليه الإمام والقاضي للفصل بين
الخصوم وإثبات الحقوق أو غير ذلك مما تدعو إليه الضرورة والحاجة غير
محذور وربما وجب وجوبا كفائيا على ما هو موضح في جملة كتب الشريعة
حتى أجاز علماؤها ترجمة غير المسلم إذ لم يوجد المسلم..."³. وقد أولى
محمد علي تعليم اللغات الأجنبية - وفي مقدمتها الفرنسية - عناية كبيرة لا
تقل عن عنايته بنشاط الترجمة الذي خطط له وأشرف عليه بنفسه وتابعه
عن قرب مستخدما "مدرسة الألسن" و"قلم الترجمة" بإدارة شيخ المترجمين

¹ - خير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تمهيد وتحقيق المنصف الشنوفي، بيت

الحكمة، تونس 1990، (مجلدان، 1121ص)، ص122.

² - المرجع نفسه، ص123

³ - محمد السنوسي: الاستطلاعات الباريسية، تونس 1891، ص 112 - 113.

رفاعة رافع الطهطاوي جهازه التنفيذي الرسمي. وقد كان محمد علي الذي أرسل البعثات الطلابية إلى أوروبا وأنشأ المعاهد العسكرية والهندسية والطبية والزراعية كما أنشأ سنة 1835 مدرسة الألسن¹ بناء على اقتراح من الطهطاوي - رغم أن الباشا لم يتعلم القراءة إلا وهو الخامسة والأربعين من عمره - في حاجة ملحة إلى الترجمة لمعرفة أوروبا والأساليب الحديثة في الإدارة والحرب وتصريف أعمال المملكة مع الخارج والتفاهم مع الأهالي وقضاء الأمور في الداخل¹. ويورد جاك تاجر في كتابه المشهور "حركة الترجمة في مصر في القرن التاسع عشر" نقلا عن "الكونت ديستورميل" قصة طريفة فحواها "أن أحد الملوك أهدى إلى والي مصر كتابا في علم الجغرافية مجلدا تجليدا فاخرا فاستدعى الباشا كبير مترجميه وسأله "كم تحتاج من الوقت لترجمة هذا المؤلف" فأجابه المترجم "ثلاثة أشهر تقريبا" فأحضر محمد علي باشا سيفه وقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام وزعها على ثلاثة مترجمين، وذلك لإنجاز العمل في شهر واحد². كما يذكر جاك تاجر أن محمد علي كان "إذ اطلع على كتاب وأعجبه أمر في الحال بطبعه وتوزيعه على الأعيان والمكاتب. وكان على عكس ذلك يحول دون نشر الكتاب إذا لم ينل استحسانه. وقد كتب الجناب العالي مرة إلى مختار بك (...) في شأن ترجمة الكتاب الذي وضعه الافرنسيس أثناء الحملة (...) ويطلب منه أن يرسل إليه إحدى النسخ المترجمة قبل طبعها، وبعد فترة

¹ - انظر: مصطفى ماهر: "مدرسة رفاعة" مجلة الألسن للترجمة، ع1، يونية 2001 (ص 65 - 80)، ص 67 - 68.

² - جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، دار المعارف، القاهرة 1945، '160ص)، ص16

وجيزة تسلم مختار بك كتابا آخر (...) فحواه أن الجنب العالي لا يوافق على طبع الكتاب الخاص بأخلاق المصريين الذي ألفه الفرنسيون¹. وقد كان محمد علي، كما يقول جاك تاجر أيضا، "يهتم بكل كتاب يقع تحت بصره، أو يسمع به يكون محتويا على آراء يعود تنفيذها بفائدة مادية وأدبية. فقد أرسل إلى سلحدار إبراهيم باشا المقيم في لندن كتابا (...) جاء فيه: قد بلغنا أنه يوجد كتاب مطبوع باللغة الإنجليزية يبين مبلغ مصروفات كل سفينة حكومية أنشأتها الدولة الإنجليزية وكذلك توجد كتب مطبوعة مؤلفة على طراز سهل يشتاق صغر الأطفال إلى قراءتها، فعلى ذلك قد اقتضت إرادتنا جلب هذا الكتاب المطبوع ليحصل الاطلاع على مقدار المبالغ المصروفة على إنشاء السفن ومشتري الكتب وإرسالها إلى طرفنا فيلزم شراؤها بمعرفتكم وترجمتها إلى اللغة التركية تم إرسالها مع الأصول المطبوعة².

وعندما شرع محمد علي في توجيه البعثات الطلابية لم ينتظر عودتهم إلى مصر ليكلفهم بأعمال الترجمة، بل أمرهم بالشروع فيها وهم يتلقون العلم في أوروبا. ففي رسالة إلى أحد الطلاب يذكر الوالي "بما سبق أن أمره به من أن يرسل كتب الجغرافية الجاري ترجمتها بمعرفة البعثة جزءا جزءا فيلومه على الاكتفاء بذكر أن مختار أفندي لا يزال يشتغل بالترجمة كما يلومه على أنه لم يقدم المعلومات الدالة على مبلغ تحصيلهم مؤكدا عليه المطالبة بتفصيل ما ترجموه من الكتب وما أفادوه من العلوم منذ حلولهم ببافيس

¹ - المرجع نفسه ، ص 17

² - الموضع نفسه

وموصيا بأن يكون البيان المقدم في هذا الصدد معززا بشهادات الأساتذة المدرسين وبأن يكتب إليه بعد ذلك آخر كل شهر تقريراً مبيناً للقدر الذي ترجموه وحصلوه في أثناء ذلك الشهر ...¹.

ويتضح مما تقدم أن الترجمة كانت، لدى محمد علي، "قضية شخصية" استدعت كامل عنايته واهتمامه لارتباطها بتحقيق مشروعه السياسي الهادف إلى بناء دولة حديثة تتمكن من الاستقلال النهائي عن الباب العالي وتقف في وجه الأطماع الأوروبية. وهذا الموقف من الترجمة نجد في تونس، عند أحمد باي، ما يماثله ولو إلى حد. فقد كان لأحمد باي - كما يقول ابن أبي الضياف - استحسان لأفعال نابليون الأول، حتى أنه أمر بترجمة حروبه ووقائعها باللغة العربية وقرأتها عليه غير ما مرة بالمحمدية. ويرى أنه من عظماء الدنيا كالإسكندر وأمثاله². وهذا الباي هو الذي أسس "المدرسة الحربية" أو "المكتب الحربي" بباردو من ضواحي تونس سنة 1840 "لتعليم ما يلزم العسكر النظامي من العلوم كالحساب والهندسة والمساحة وغيرها ولتعليم اللغة الفرنسية لأن أكثر كتبها مدونة بهذه اللغة"³. ولئن كانت هذه المدرسة من آثار اهتمام أحمد باي بالناحية العسكرية - على غرار ما رأيناه من اهتمام محمد علي بهذه الناحية أيضاً - وتفكيره في تخريج ضباط جيشه النظامي على يد أساتذة أوروبيين، فإنها لم تكن مدرسة عسكرية بحتة وإنما كانت أول مؤسسة تعليمية احتوى برنامجها على مواد العلوم العصرية، كما

¹ - المرجع نفسه، ص 25 - 26

² - أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان ...، مرجع سابق، ص 143.

³ - المرجع نفسه، ص 70.

كانت مهد أول حركة ترجمة عرفها تاريخ تونس الحديث¹ وإن كان أغلب ما ترجم في إطارها هو من الفنون العسكرية، إذ تثبت بعض الدراسات أن ما ترجم إلى العربية في تونس من 1838 إلى ما قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1881 يعد 46 كتابا منها 40 كتابا - أي بنسبة 87% من مجموع ما عرب - في الفنون العسكرية وحدها².

وخلص القول أن الترجمة في القرن التاسع عشر - وخاصة في نصفه الأول وإلى أواسطه مع نهاية حكم محمد علي في مصر وأحمد باي في تونس...الخ- كانت اختيارا سياسيا ونشاطا رسميا تقرره السلطة السياسية، وتخطط له، وتشرف عليه، وتراقبه، ليكون في خدمة سياستها ويحقق أهدافها. وقد تبين أن التجربة المصرية في الترجمة - وهي التي توفرت لدينا عنها معلومات ضافية وإحصائيات مدققة دالة مثلما سنورده لاحقا - تعد التجربة البارزة وإن كانت التجربة اللبنانية قد سبقتها لكن في ظروف مغايرة، كما يعد نجاحها - إضافة إلى الاختيار السياسي الذي رسمه محمد علي وحزمه في تطبيقه ف"إذا أمر الباشا بشيء، أراد تنفيذه على الوجه الأكمل" كما يقول جاك تاجر³ - راجعا إلى تأهيل المترجمين وحيويتهم وتجندهم لخدمة دولة محمد علي، وفي مقدمة هؤلاء المترجمين رفاعة رافع الطهطاوي الذي آمن إيماننا راسخا بدور الترجمة والتربية والتعليم في تحقيق عملية التثوير وحركة النهضة.

¹ - الحبيب الجنحاني: "الحركة الإصلاحية في تونس..."، مرجع سابق، ص 119.

² - العروسي الميزوري: "من نتائج بروز المؤسسات التعليمية الحديثة بالإيالة التونسية"، ج3، الهداية (تونس)، 22/6 (1998)، (ص71-74)، ص 72-74.

³ - جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر....، مرجع سابق، ص 25.

3. الإنتاج الترجمي عدديا ولغويا وموضوعيا وفنويا في القرن التاسع عشر وصلته بالتوجهات النهضوية: حالة مصر.

ما عدد الكتب المترجمة فيما بين اللغات المستخدمة بصورة أو بأخرى في مصر خلال القرن التاسع عشر؟ وما نسبتها إلى الكتب المؤلفة؟ وما اللغات المترجم منها والمترجم إليها؟ وما مواضيع الكتب المترجمة؟ وما الفئات التي استهدفتها هذه الترجمات؟ وما صلة كل ذلك بالتوجهات النهضوية التي عرفتتها مصر خاصة خلال هذا القرن؟

هذا ما سيسعى هذا القسم من الورقة إلى الإجابة عنه في ضوء الإحصائيات التي تزودنا بها بعض الدراسات والبحوث الببليومترية الحديثة¹.

1.3 الكتب المترجمة:

أحصت عائدة إبراهيم نصير ما نشر من كتب في مصر من عشرينات القرن التاسع عشر - أي من مرحلة تأسيس المطابع بدءا بمطبعة بولاق سنة 1822 - إلى نهايته فبلغ 10405 من الكتب المؤلفة والمترجمة . ويبلغ عدد الكتب المترجمة 804 أي ما نسبته 7.73% من مجموع المنشورات، وهو ما يوضحه الجدول التالي²:

¹ - أتوجه بجزيل الشكر إلى الزملاء الأفاضل: الأستاذ شوقي جلال والأستاذ الدكتور محمد فتحي عبد الهادي والدكتور محمد الفاضل البشراوي على المراجع والإحصائيات العديدة التي لفتوا انتباهي إليها أو زودوني بها وأنه هنا بأن جل البيانات والإحصائيات الواردة في هذا القسم من الورقة مستمد من بحثي الدكتوراة عائدة إبراهيم نصير وجيهان محمود السيد المذكورين لاحقا.

² - عائدة إبراهيم نصير: حركة نشر الكتب في مصر في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994، (653ص)، ص296.

جدول رقم (1) يبين عدد المترجمات في كل فترة ونسبتها إلى المنشور من الكتب في مصر خلال القرن 19

الفترة	عدد الكتب المنشورة (مؤلفة ومترجمة)	عدد الكتب المترجمة	نسبة المترجمات
العشرينات	105	21	20 %
الثلاثينات	358	102	28.5 %
الأربعينات	404	138	34.2 %
الخمسينات	443	74	16.7 %
الستينات	1391	73	5.2 %
السبعينات	1597	95	15.9 %
الثمانينات	3021	110	3.6 %
التسعينات	3086	191	6.2 %
المجموع	10405	804	7.73 %

ويتبين من الإحصائيات التي توصلت إليها عائدة إبراهيم نصير في الجدول السابق أن الكتب المترجمة قد حققت أعلى نسبها في العشرينات الثلاث الأولى المشمولة بالدراسة، فبلغت 34.2% في الأربعينات و 28.5 % في

أما جيهان محمود السيد ففي بحثها عن "أوائل المطبوعات في مصر" من عشرينات القرن التاسع عشر إلى سبعيناته، أحصت 2869 كتابا منها 471 كتابا مترجما أي بنسبة 16.4 % من مجموع أوائل المطبوعات. انظر: جيهان محمود السيد: أوائل المطبوعات في مصر - دراسة في البيولوجرافيا التحليلية، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، 200، ص 81.

الثلاثينات و 20% في العشرينات أي خلال عهد محمد علي الذي مثل " النهضة الثقافية الأولى" في القرن التاسع عشر. وقد ازدهرت حركة الترجمة في هذه الفترة لأسباب عديدة في مقدمتها إنشاء المدارس الخصوصية العسكرية والطبية والهندسية والإدارية التي كان مدرسوها مكلفين أيضا بترجمة الكتب الدراسية والمرجعية، وعودة المبعوثين، وتخرج المترجمين في مدرسة الألسن - وقد تأسست سنة 1835 - وإنشاء أقلام الترجمة.

وقد تراجعت نسبة الكتب المترجمة بداية من الخمسينات بعد تولي الخديوي عباس (1848 - 1854) الحكم، وإلغاء مدرسة الترجمة سنة 1850 ونفي رفاعه رافع الطهطاوي إلى السودان بعد أن تولى نظارتها مدة 15 سنة. وعند تولي سعيد (1854 - 1863) الحكم ألغى ديوان المدارس الذي كان يزود المترجمين بالكتب المراد ترجمتها لاستخدامها في التعليم.

فقد كان سعيد - كما يقول المؤرخون - ذا كراهية للعلم والمتعلمين، وقد أشيع عنه قوله "إنه من الأيسر حكم أمة جاهلة عن حكم أمة أهلها من المتعلمين"¹. على أن الخديوي سعيد قد ساعد، من ناحية أخرى، في تنشيط حركة الترجمة عندما أصدر أوامره باستعمال اللغة العربية في القضايا المعروضة على المحاكم، مانعا استعمال غير العربية فيها².

وتعد فترة حكم الخديوي إسماعيل (1863-1879) بمثابة "نهضة ثقافية ثانية" عرفت مصر في القرن التاسع عشر بعد النكسة التي حصلت في عهدي الخديوي عباس والخديوي سعيد. على أنه إذا كانت النهضة الأولى

¹ - عابدة ابراهيم نصير: حركة نشر الكتب في مصر ...، مرجع سابق، ص 258.

² - الموضوع نفسه.

"تهدف إلى تكوين إمبراطورية قوية قوامها الجيش والمدارس على اختلاف تخصصاتها، والمطبوعات الصادرة كانت تدور في فلك هاتين الدعامتين"¹ فإن النهضة الثانية "كانت تميل إلى نشر الثقافة والتعليم والفنون والآداب بين جميع أفراد الشعب"².

وإذا كانت نسبة المترجمات في عهد إسماعيل لم تبلغ ما بلغته في عهد محمد علي -إذ أقصى ما وصلت إليه هو 15.9% خلال السبعينات - فلأن النهضة الثانية "قد استمدت جذورها من المؤلفات التراثية والأدبية"³، خاصة بعد أن مضى الزمن الذي كانت فيه مدرسة الألسن مهيمنة نحو الخمسة عشر عاما (1853 - 1850) على الإنتاج الترجمي وشؤون الثقافة العامة في مصر⁴. وقد تأثرت حركة الترجمة في هذه الفترة بمسعى الخديوي إسماعيل إلى تطوير القضاء، إذ أمر بترجمة القوانين الفرنسية للحد من النفوذ الأجنبي، وهو ما تم بإشراف رفاعة الطهطاوي، وطبعت في هذه الفترة مجلدات كثيرة بمطبعة بولاق بين سنتي 1866 و1868. إلا أن تنشئة الخديوي إسماعيل، وإتقانه للغات الأجنبية، ومحاولته المستمرة لجعل مصر "قطعة من أوربا" قد جعلت تدريس اللغات الأجنبية من أهم أهداف التعليم، فبلغ عدد المدارس الأوربية التي فتحتها البعثات الدينية في عهده 70 مدرسة⁵. وفي هذا العهد أيضا ترسخ التعريب بمدرسة الطب، مما نشط الترجمة

1 - جيهان محمود السيد: أوائل المطبوعات في مصر ...، مرجع سابق، ص 85.

2 - الموضوع نفسه.

3 - الموضوع نفسه

4 - المرجع نفسه، ص 83.

5 - عابدة إبراهيم نصير: حركة نشر الكتب ...، مرجع سابق، ص 265.

الطبية إلى العربية، بل إن إسماعيل قد جعل العربية هي اللغة الرسمية في كافة الدواوين والمصالح بمقتضى أمر صدر في سنة 1869 بعد أن كانت التركية هي اللغة الرسمية، وقد أدى ذلك إلى ترجمة كل اللوائح والأوامر وكل ما سبق صدوره من عصر محمد علي إلى عصر سعيد¹.

على أن هذه الانتعاشة النسبية التي عرفتتها حركة الترجمة في عهد إسماعيل ستراجع بداية من الثمانينات، إذ تدنت نسبة الكتب المترجمة إلى 3.6 % و 6.2 % خلال الثمانينات والتسعينات على التوالي، وذلك بسبب ضعف خريجي مدرسة الترجمة - وقد فتحت من جديد بين 1878 و 1885 - مما دعا إلى الاستعانة بالمرجمين الشوام في آخر القرن مثلما استعان بهم محمد علي في بدايته، ونجاح الاستعمار الإنجليزي في تحويل لغة التدريس إلى الإنجليزية، وتوسع استخدام اللغات الأجنبية... الخ

3.2 اللغات المترجم منها والمترجم إليها:

كانت اللغة التركية، إلى سنة 1869 كما رأينا، هي اللغة الرسمية في مصر، وكان للإيطالية مكانة هامة في التعليم وغيره من المجالات، لكنها تراجعت منذ عصر محمد علي وتقدمتها اللغة الفرنسية التي لم تتفوق عليها الإنجليزية إلا مع نهاية القرن بسبب الاحتلال الإنجليزي.

ويبين الجدول التالي الكتب المترجمة بمصر في القرن التاسع عشر موزعة حسب اللغات المترجم منها²:

جدول رقم (2) يبين المترجمات في القرن التاسع عشر مصر موزعة حسب اللغة المترجم منها

¹ - المرجع نفسه، ص 266.

² - عائدة إبراهيم نصير: حركة نشر الكتب في مصر...، مرجع سابق، ص 273.

الفترة اللغة	العشرينات	الثلاثينات	لأربعينات	الخمسينات	الستينات	السبعينات	الثمانينات
الفرنسية	13	75	93	36	40	57	45
الإنجليزية	–	1	3	3	11	19	44
العربية	2	9	22	22	4	8	5
التركية	2	8	18	11	6	6	9
الفارسية	–	3	1	1	9	2	5
الإيطالية	3	2	1	1	3	1	–
الألمانية	–	–	–	–	–	2	2
القبطية	–	–	–	–	–	–	–
الهندية	–	2	–	–	–	–	–
اليونانية	1	1	–	–	–	–	–
الروسية	1	–	–	–	–	–	–
المجموع	21	102	138	74	73	95	110

أما الجدول التالي فيبين عدد الكتب المترجمة موزعة حسب اللغة المترجم إليها¹:

¹ – المرجع نفسه، ص 374..

جدول رقم (3) يبين المترجمات في القرن التاسع عشر بمصر موزعة حسب اللغة المترجم إليها

الفترة	العشرينات	الثلاثينات	الأربعينات	الخمسينات	الستينات	السبعينات	الثمانينات
العربية	11	78	107	49	66	84	3
التركية	9	22	29	24	7	11	
الفارسية	1	—	2	1	—	—	
الفرنسية	—	1	—	—	—	—	
الإنجليزية	—	—	—	—	—	—	
الألمانية	—	1	—	—	—	—	
الجاوية	—	—	—	—	—	—	
القبطية	—	—	—	—	—	—	
المجموع	21	102	138	74	73	95	1

ويتبين من الجدول رقم (3) أن اللغة الفرنسية قد تصدرت اللغات التي ترجمت منها الكتب في مصر طيلة القرن التاسع عشر، إذ بلغ ما ترجم منها 445 كتاباً، وهو ما يمثل 55% من مجموع المترجمات (804 كتب). ويعود ارتفاع هذه النسبة إلى المكانة التي حظي بها الفرنسيون والثقافة الفرنسية في قطاعات عديدة، وإلى أن محمد علي قد استعان بمجموعة كبيرة من الأساتذة الفرنسيين - مقابل قلة من غير الفرنسيين - للتعليم في المدارس الخصوصية التي أنشأها، ومن أشهرهم برون (Perron) أستاذ

الكيمياء والفيزياء الذي "تعلم العربية وأجادها واستطاع أن يترجم كتابين أساسيين في الكيمياء والفيزياء إلى اللغة العربية"¹ وكلوت بك (Clot) أستاذ الطب الذي وضع خطة للتغلب على حاجز اللغة العربية في مجال تدريس العلوم الطبية، "إذ كان يعين مترجما مع كل أستاذ لكي ينقل كل ما يشرحه هذا الأستاذ من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ثم يكلفه بعد ذلك بأن يعيد ما ترجمه مرة ثانية إلى اللغة الفرنسية، حتى يتأكد من صدق الترجمة، بالإضافة إلى تكليف المترجم أيضا بترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية"².

وتعود مكانة الفرنسية إلى أن أكثر البعثات الطلابية قد أرسلت إلى فرنسا، وإلى أن زعيم حركة الترجمة في مصر محمد علي بل في القرن التاسع عشر كله - رفاة رافع الطهطاوي - قد درس بفرنسا، وعن الفرنسية وضع كل مترجماته.

أما اللغة الإنجليزية فتأتي في المرتبة الثانية، إذا بلغ ما ترجم منها 167 كتابا بنسبة 21% على أن المترجمات من الإنجليزية قد تطور عددها تطورا واضحا منذ الستينات، إلى أن ساوى عدد المترجمات من الفرنسية في التسعينات (86 كتابا لكلتا اللغتين) مؤذنا بعصر جديد تهمين فيه الإنجليزية لا على الفرنسية فحسب وإنما على العربية أيضا، وتعوق فيه حركة الترجمة إعاقة واضحة.

¹ - محمود فهمي حجازي: اللغة العربية في العصر الحديث - قضايا ومشكلات، دار قباء، القاهرة 1998، (176ص)، ص 19.

² - عابدة إبراهيم نصير: حركة نشر الكتب...، مرجع سابق، ص 247.

وأما اللغات المترجم إليها فتتصدرها اللغة العربية بـ 677 كتابا ونسبة 84% من مجموع الكتب المترجمة (804 كتب)، تليها التركية - وكانت اللغة الرسمية إلى حد 1869 كما رأينا، إضافة إلى أنها لغة الحكام - بـ 113 كتابا ونسبة 14% في حين أن اللغات الست الأخرى (الفارسية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والجاوية والقطبية) لا تزيد نسبة الكتب التي ترجمت إليها عن 2%. وأهم ما تكشف عنه هذه الأرقام أهمية الجهود التي بذلت لنقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية تلبية لحاجات التعليم والإدارة والجيش والتنقيف العام، مما ساعد على إحياء اللغة العربية وإثرائها وتطويرها لمقتضيات النهضة الحضارية.

3.3. مواضيع الكتب المترجمة:

يبلغ عدد الكتب المترجمة في النصف الأول من القرن التاسع عشر - وهي فترة متأثرة تأثرا تاما بشخصية محمد علي وبرنامجيه السياسي واختياراته التحديثية - 261 كتابا أي بنسبة 32.46% من مجموع ما ترجم في كامل القرن (804 كتب). وتأتي في صدارة هذه المترجمات العلوم التطبيقية (91 كتابا بنسبة 34.86%) والعلوم البحتة (56 كتابا بنسبة 21.45%) التي تمثل معا نسبة 56.32% من مجموع ما ترجم، وهو ما يؤكد أن العلوم البحتة والتطبيقية كانت موضع رعاية محمد علي الكاملة، خلافا للآداب التي لم يكن لها نصيب من اهتمامه الرسمي.

أما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فبعد النكسة التي أصابت الحركة التعليمية والثقافية عامة والترجمة خاصة إبان حكم عباس وسعيد ومع استئناف النهضة الثانية في عصر إسماعيل، انصرفت الجهود إلى التأليف أكثر من الترجمة، وانتقل الاهتمام إلى الترجمة في مجال

الإنسانيات، وأصبحت الصدارة للعلوم الاجتماعية (124 كتابا من مجموع 543 كتابا أي بنسبة 22.8%) والآداب (105 كتب بنسبة 19.3%) بينما احتلت العلوم البحتة المرتبة الثالثة (80 كتابا بنسبة 14.7%) والعلوم التطبيقية المرتبة الخامسة (68 كتابا بنسبة 12.5%) بعد الجغرافيا والتاريخ (78 كتابا بنسبة 14.3%). ولا شك أن للاحتلال الإنجليزي عامة وتحول لغة التدريس من العربية إلى الإنجليزية خاصة دورا أساسيا في تناقص الاهتمام بترجمة كتب العلوم البحتة والعلوم التطبيقية إلى اللغة العربية. ويبين الجدول التالي (رقم 4) عدد الكتب المترجمة في كل موضوع في كل من النصف الأول والنصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي القرن بكامله¹:

جدول رقم (4) يبين عدد الكتب المترجمة
في القرن التاسع عشر موزعة حسب المواضيع

الموضوع	النصف الأول	من القرن 19	النصف الثاني	من القرن 19
معارف عامة	1	0.4%	4	0.73%
فلسفة	6	2.3%	14	2.6%
ديانات	10	3.8%	32	5.9%
علوم اجتماعية	29	11.1%	124	22.8%
لغات	12	4.6%	37	6.8%

¹ - عابدة إبراهيم نصير: حركة نشر الكتب ...، مرجع سابق، ص 281 - 287.

علوم بحتة	56	%21.4	80	%14.7
علوم تطبيقية	91	%34.9	68	%12.5
فنون	–	–	1	%0.18
آداب	19	%7.3	105	%19.4
جغرافيا وتاريخ	37	%14.2	78	%14.3
المجموع	261	%100	543	%100

3-4 الفئات التي استهدفها المترجمات:

صنفت عائدة إبراهيم نصير الفئات التي استهدفها الكتب المترجمة بمصر في القرن التاسع عشر إلى خمس هي : الأطفال، والمدارس، والكبار، والإدارة، والجيش¹.

ويبين الجدول التالي (رقم 5) توزيع المترجمات حسب الفئات التي ترجمت لها:

جدول رقم 5 يبين توزيع المترجمات حسب الفئات المستهدفة

الفئة الفترة	أطفال	مدارس	كبار	إدارة	جيش	المجموع
-----------------	-------	-------	------	-------	-----	---------

¹ - المرجع نفسه، ص 291.

أما جيهان محمود السيد (أوائل المطبوعات في مصر ...، مرجع سابق، ص 88) فقد صنفت أوائل المطبوعات - بما فيها المترجمات - إلى أربع فئات هي: كتب أطفال، وكتب مدرسية، ومطبوعات حكومية، وكتب ثقافية.

العشريّات	-	11	3	2	5	21
الثلاثيّات	1	77	16	7	1	102
الأربعيّات	2	91	25	13	7	138
الخمسّيات	1	50	10	4	9	74
الستيّات	6	29	16	10	12	73
السبعيّات	4	42	28	6	15	95
الثمانيّات	3	31	36	29	11	110
التسعيّات	4	43	122	21	1	191
المجموع	21	374	256	92	61	804
النسبة	%2.6	%46.5	%31.8	%11.4	%7.6	%100

ويُتَبَيَّن من الجدول السابق تفوق المترجمات الموجهة إلى المدارس (374 كتاباً بنسبة 46.5%)، تليها كتب الكبار، فالمطبوعات الإدارية، فالجيش، فالأطفال. وإن تفوق المترجمات المدرسية أمر طبيعي في ضوء ما رأيناه من اهتمام محمد علي بالتعليم عامة وتعليم العلوم الحديثة البحتة والتطبيقية خاصة، لتأهيل الإطارات في مختلف المجالات تلبية لحاجات دولته الناهضة. وقد أُنشئت مطبعة بولاق سنة 1822 "خصيصاً لخدمة المدارس ولطباعة الكتب الدراسية"¹.

وقد زاد عدد المترجمات الموجهة إلى فئة الكبار زيادة واضحة بداية من الستينيات ليصل في التسعينيات إلى 122 كتاباً (من 256 كتاباً وهو مجموع ما ترجم للكبار طيلة القرن أي بنسبة 47.65%) ومن 191 كتاباً وهو ما

¹ - جيهان محمود السيد: أوائل المطبوعات في مصر ...، مرجع سابق، ص 66.

ترجم في التسعينات بكل الفئات أي 63.8%، تنصدها كتب الأدب، فكت التاريخ والجغرافيا والرحلات، فالديانات والعلوم الاجتماعية...الخ، وهو ما يعكس النهضة الثقافية والأدبية النسبية التي عرفها عصر إسماعيل بالخصوص، وتقلص الاهتمام بترجمة كتب العلوم البحتة والتطبيقية بالخصوص.

وبلغت المطبوعات الإدارية أعلى رقم لها في الثمانينات (29 كتابا) وفي التسعينات (21 كتابا) مسايرة لتطور حركة تعريب الإدارة والقضاء. وتناولت المترجمات الموجهة إلى الجيش مجال الفنون الحربية والقوانين العسكرية والعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والجغرافيا والتاريخ...

وإن المترجمات الموجهة إلى الطفل - وإن كانت محدودة، إذ بلغ عددها طيلة القرن 21 كتابا بنسبة 2.6% من مجموع المترجمات - دليل على أن حركة الترجمة لم تكن، أحيانا، حبيسة الأطر الصارمة التي حاول محمد علي أن يضعها فيها، وتفاعلت مع مختلف أوجه حركة التأليف والترجمة في أوروبا حينئذ، بل إن محمد علي نفسه قد أمر باقتناء كتب للأطفال سمع أنها مما "يشتااق صغار الأطفال إلى قراءته"، إضافة إلى أن الطهطاوي وتلامذته قد أولوا الترجمة والاقتباس والتأليف للأطفال جزءا من اهتماماتهم.

ويتضح مما تقدم أن حركة الترجمة في مصر في القرن التاسع عشر، وخاصة أثناء حكم محمد علي، قد ساءرت الاختيارات الرسمية وكانت في خدمتها، لذا كانت الكتب الدراسية الموجهة إلى طلاب المدارس التي أنشأها الوالي في صدارة المترجمات، واحتلت العلوم التطبيقية والبحث صدارة العلوم المترجم منها، كما كانت العربية أكثر اللغات المترجم إليها...الخ. وقد خدمت الترجمة تعريب القضاء والإدارة مثلما خدمت الجيش وعلاقات مصر

مع الخارج...الخ. ولئن أصابت الترجمة نكسة خلال عهدي عباس وسعيد فإنها سرعان ما استعادت بعض حيويتها في عصر إسماعيل، لكن المتغيرات الجديدة جعلتها تتجه نحو الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية أكثر من التركيز على العلوم التطبيقية والبحث، وأصبحت شيئاً فشيئاً "ترجمة استهلاكية" بعد أن كانت "ترجمة إنتاجية"¹ في خدمة النهضة، وعزلت معها اللغة العربية، بعيد الاحتلال الإنجليزي، عن التعبير العلمي والتقني.

4. أثر الترجمة في الفكر النهضي:

عندما ندرس العوامل التي أثرت في النهضة وشكلت الفكر النهضي، من الصعب أن نحدد التأثير الذي اختصت به الترجمة من بين تلك العوامل، وذلك لأن الترجمة كانت عنصراً ضمن حركة أعم هي النقل أو الاقتباس من الغرب كما سبق أن أشرنا. وقد تفاعلت المجتمعات العربية في عصر النهضة مع الحضارة الغربية، وإن بصور متفاوتة، تفاعلاً تزايد على مر السنين، وأخذ أشكالاً جديدة مع الاحتلال الأجنبي، إلى أن سقطت هذه المجتمعات في التبعية والتغرب والاستيلاء، ولم تستطع الخروج من أسر التخلف، على الرغم مما حققته من بعض التطور المادي. وإذا كان "من الصعب تصور المستوى الحضاري العالي للثقافة الإسلامية - العربية القديمة دون حركة الترجمة لأهمّات الأعمال الفلسفية والطبية والعلمية الأخرى من الإغريقية إلى العربية، وكذلك يصعب تصور الحضارة الأوروبية الحديثة دون حركة الترجمة من اللغات العربية واللاتينية والإغريقية إلى اللغات الأوروبية الحديثة، ومن قبل ذلك حركة الترجمة من العربية إلى

¹ انظر: بوعلي ياسين: "موجز الاقتصاد السياسي للترجمة في الوطن العربي"، الآداب، س 47، ع 6/5

(أيار/مايو - حزيران/يونيو 1999) (ص 76 - 80)، ص 77.

اللاتينية...¹ فإنه من الصعب أيضا تصور النهضة العربية - بإيجابياتها وسلبياتها - من دون حركة الترجمة إلى العربية في لبنان ومصر والعراق وتونس والمغرب وغيرها.

وقد كان رواد النهضة في القرن التاسع عشر واعين لا فقط بدور الترجمة في نهضة الأمم وإنما أيضا بما أحدثته من أثر إيجابي واضح في البلاد العربية، وخاصة في مصر إبان عصر محمد علي وخلفائه. من ذلك أن رفاة الطهطاوي يشير في سباق تعداد له لمدى اهتمامه محمد علي إلى عناية هذا الوالي بالترجمة وإنشائه "مدرسة للألسن الأهلية والأجنبية، لمعرفة اللغات واستفادة ترجمة الكتب الأجنبية، ونتج عنها تكثير المعلومات، وأحرزت ديار مصر منها الفوائد الجمة والمعارف المهمة...² وإلى أنه "أنشأ كما سبق مدرسة للألسن، في الأكثر، بقصد ترجمة الكتب الغربية فكانت للوفاء بجل مقصده مجيبة، وترجم فيها كثير من العلوم المتنوعة، ودخل رجالها في الخدمات الميرية، وعادت منهم على البلاد المنفعة...³.

وهذا الربط بين الترجمة وأثرها الإيجابي في تمدن مصر في عصر محمد علي وخلفائه نجده أيضا عند المصلح التونسي محمد بيرم الخامس (1839-1889) الذي يقول عن محمد علي إنه "شمر عن ساعد الجد

¹ - بسام طيبي: "حول حركة ترجمة الأعمال العلمية والأدبية من اللغات الأوروبية إلى العربية ودورها في التاريخ العربي الحديث"، شؤون عربية، 7 (سبتمبر 1981)، (ص 116 - 129)، ص 116.

² - رفاة رافع الطهطاوي: كتاب مناهج الألباب المصرية في مباحث الآداب العصرية، في الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1973، ج 1، ص 438.

³ - المرجع نفسه، ص 439.

ووافقه البخت وفتح لمصر عصرا جديدا (...) وترجمت الكتب النافعة في فنون شتى إلى العربية فنشأ في مصر جيل جديد وعصر جديد (1). وقد واصل أعلام الفكر والأدب والثقافة، في ما بعد نهضة القرن التاسع عشر، الاهتمام بالترجمة والدعوة إليها والحث عليها لدورها المؤكد في تحقيق التقدم الفكري والمادي الذي تنتشه الأمة العربية. فهذا طه الهاشمي يكتب في مذكراته عام 1919 أنه "لو أرادت الأمة العربية الرقي فلا يصعب عليها أن تؤلف لجنة ترجمة ممن لهم اطلاع ورسوخ في اللغات الأجنبية وفي العربية فتأخذ بترجمة هذه الآثار من غير مجارة ولا تفريق"2؛ وهذا ميخائيل نعيمة يرى في غرباله، سنة 1923، أنه ليس عندنا من الأقلام والأدمغة ما يفي بسد حاجاتنا الروحية، فلنترجم! ولنجل مقام المترجم لأنه واسطة تعارف بيننا وبين العائلة البشرية العظمى، ولأنه بكشفه لنا أسرار عقول كبيرة وقلوب كبيرة تسترنا عنا غوامض اللغة، يرفعنا من محيط صغير محدود، نتمرغ في حمأته، إلى العالم الأوسع فنعيش بأفكار هذا العالم وآماله وأفراحه وأحزانه"3 وفي سنة 1938 كتب طه حسين في "مستقبل الثقافة في مصر" أنه "في حياتنا العقلية تقصير معيب يصيبنا منه كثير من الخزي كما يصيبنا كثير من الجهل وما يستتعبه الجهل من الشر. ولا بد من إصلاحه إن كنا نريد أن ننصح لأنفسنا ونعيش عيشة الأمم

1- محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المطبعة الإعلامية بمصر، 1884 - 1893، ج4، ص 110.

2- طه الهاشمي: مذكرات طه الهاشمي 1919 - 1943، تحقيق وتقديم خلدون ساطع الحصري، دار الطليعة، بيروت 1967.

3- ميخائيل نعيمة: الغربال، ط7، دار صادر ودار بيروت، بيروت 1964، (254ص)، ص126.

الراقية، وإن كنا نود أن ننصح للعلم نفسه ونشارك في ترقيته وتنميته، وإن كنا نريد أن ننصح للشعب فنخرجه من الجهل إلى المعرفة، ومن الخمود والجمود إلى النشاط والإنتاج. ومظهر هذا التقصير المخزي إهمالنا الشنيع للترجمة والنقل عن اللغات الأوروبية الحية. فما أكثر الآثار العلمية والفنية والأدبية التي تنعم بها الإنسانية الراقية، وما أشد جهلنا لهذه الآثار وغفلتنا عنها ! وما أقل حظنا في الاستمتاع بلذاتها النقية الممتازة. وما أكثر حديثنا عن مجد العرب الأولين حين أقبلوا في شره رائع على آثار الأمم المتحضرة فنقلوها إلى لغتهم، ومزجوها بتراثهم ، وغدوا بها عقولهم وقلوبهم، وكونوا منها حضارتهم¹. أما أنور عبد الملك فقد أكد في حديثه عن "أهمية الترجمة في نهضتنا الثقافية" أن "الشعور العام هو أن حركة الترجمة عندنا ما زالت محدودة الأفق، محدودة الانتشار، أي إنها ليست في مستوى ما نحتاج إليه للإسهام في نهضتنا الثقافية". وهو يرى أن "هدف حركة الترجمة هو تعويض الأجيال المعاقبة التي فانتنا فيها ركب الحضارة بعد انتقاله من الإسكندرية إلى الغرب في عصر النهضة ثم في عصر الثورة الصناعية. ويكفي أن ننظر إلى كليات الطب والهندسة والعلوم والزراعة لننتبين إلى أي مدى مازلنا نفتقر إلى مكتبة مصرية عربية تضع المعارف المعاصرة والعلم الحديث بين أيدي المعنيين بهما في لغتنا القومية"².

¹ - طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت 1982،

(507ص)، ص 459.

² - أنور عبد الملك: دراسات في الثقافة الوطنية، ط1، دار الطليعة، بيروت 1967، (454ص)، ص

وإذا كانت هذه المواقف دالة على سخط هؤلاء الأعلام الأربعة على حال الترجمة العربية في أوائل القرن العشرين وأواسطه، فإنه ليس فيها ما يدل على رضاهم عن أثر حركة الترجمة أثناء عصر النهضة في ما آل إليه حال كالأمة العربية التي أصبح من المتحتم عليها أن تتخذ من الترجمة، مجدداً، أدواتها التي تعوض بها "ما فاتها من ركب الحضارة" حسب تعبير أنور عبد الملك، وفي ذلك إقرار بأن ما ترجم لم يجسر الفجوة الحضارية والفكرية بين العرب والغرب، ولم "ينقل التراث العالمي الثوري القائم على العلم" كما يقول بسام طيبي¹.

لقد كانت الترجمة في عصر النهضة أحد عناصر النقل عن الغرب، ووظفت لخدمة سياسة الحكام ومرافق الدولة. وقد رأينا في ما سبق (الفقرة 3) أن الكتب المترجمة في مصر في عهد محمد علي وأحفاده قد استهدفت المدارس (التعليم)، فالكبار (التثقيف العام) فالإدارة، فالجيش، فالأطفال. وفي عام 1838 بلغ عدد المعاهد العسكرية والهندسية والزراعية والطبية وغيرها ما يزيد على 50 مدرسة تضم ما يزيد على 5500 طالبا².

وقد تطور التعليم "حتى قيل إن نظام التعليم في ذلك الوقت لم يكن يختلف كثيرا عنه في غربي أوروبا...³. وإلى جانب العلوم الدينية واللغوية، أن طلاب هذه المدارس يتلقون العلوم العصرية البحتة والتطبيقية التي لم يكن لمصر وللأزهر عهد بها، مما حتم ترجمة الكتب الدراسية وتجنيد المبعوثين - سواء أثناء دراستهم في أوروبا أم بمجرد عودتهم منها - والمتخرجين في هذه

¹ - بسام طيبي: "حول ترجمة الأعمال العلمية والأدبية..."، مرجع سابق، ص 129.

² - انظر: مسعود ضاهر: النهضة العربية والنهضة الأوربية...، مرجع سابق: ص 97.

³ - انظر: جيهان محمود السيد: أوائل المطبوعات...، مرجع سابق، ص 68.

المدارس نفسها للقيام بهذه المهمة. وبذلك ساهمت الترجمة مساهمة كبيرة في تحقيق نهضة تعليمية ساعدت على تأهيل إطارات عسكرية وهندسية وطبية وزراعية وإدارية دخلوا "في الخدمات الميرية، وعادت منهم على البلاد المنفعة" كما قال الطهطاوي. وقد أدت الترجمة دورا مهما في تطوير الإدارة والقضاء وتعريبها وتمصيرهما، خاصة عندما منع الخديوي سعيد استعمال غير العربية في المحاكم، ثم عندما أمر الخديوي إسماعيل في سنة 1869 باتخاذ العربية لغة رسمية في كافة الدواوين.

والى جانب هذا الدور الذي قامت به الترجمة في مجال التعليم والإدارة والقضاء وغيرها من مرافق المجتمع وأجهزة الدولة، نود أن نشير إلى بعض ما قامت به في مجال اللغة والأدب والصحافة والفكر السياسي مما ساهم في تشكيل الفكر النضوي.

فالنسبة إلى اللغة، يجمع كل الذين درسوا أثر الترجمة في اللغة العربية المعاصرة - بمن فيهم الذين يعدون الترجمة أحد أسباب ما تعيشه ثقافتنا المعاصرة من تبعية - أنه كان لها "الدور الإيجابي الفعال (...)" في أسلوبنا ولغتنا وأدبنا ونمط تفكيرنا¹. فلقد خلصت الترجمة النثر العربي من السجع والجناس والغريب وسائر المحسنات اللفظية وألوان البديع التي كانت سائدة لدى جل كتاب ما سمي بعصور الانحطاط، وأعادت الحياة إلى اللغة

¹ - حنا عبود: "الترجمة والتبعية الثقافية"، الآداب، س 47، ع 5/6 (أيار/مايو - حزيران/يونيو 1999)، (ص 69 - 75)، ص 74.

العربية وجعلتها "تتفاعل"، وتتشبث بالحياة، وتسعى إلى استكمال ما ينقصها، لتخدم جميع الأغراض"¹.

وفي الأدب، أدخلت الترجمة المباشرة أو غير المباشرة أهم الأجناس الأدبية التي أصبحت دعائم الأدب العربي في العصر الحديث، أعني القصة والمسرح².

وقد كان تأسيس الصحافة العربية من نتائج الاطلاع على الصحف والمجلات الأجنبية – "الجرنالات" أو "الكازيطات" أو "الورقات اليومية" كما سماها الطهطاوي في "تخليص الإبريز..." وغيره – وتقليدا لها، إضافة إلى أنها كانت مجالا رحبا لنشر ترجمات كثيرة لكتب علمية وأدبية. ولا يخفى ما كان للصحافة من دور في تشكيل الفكر العربي ومن تطوير عميق للغة العربية.

أما في مجال الفكر السياسي ففعل من أنصع الأدلة على الدور الذي لعبته الترجمة بعض ما ترجمه زعيم حركة الترجمة في القرن التاسع عشر أعنى رفاة الطهطاوي إن الإجماع حاصل على اختصاص الطهطاوي المترجم والمؤلف والمربي بالريادة من بين أعلام عصر النهضة في القرن التاسع عشر عامة وتلثه الثاني خاصة، وهو – في رأي العديد من الدارسين – "المفكر المعلم بالترجمة" و"أهم أعلام الحياة الثقافية في بداية النهضة العربية الحديثة" و"رائد الفكر العربي الحديث" و"زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي" و"المبشر بمجتمع كامل جديد تغير فيه أساس السلطة

¹ – أنور لوقا: عودة رفاة الطهطاوي – مراحل استفاقة الفكر في ضوء الأدب المقارن، دار المعارف للطباعة

والنشر، سوسة – تونس 1997' 262ص)، ص160.

² – انظر المرجع نفسه، ص 177 – 203.

من الحق الإلهي إلى العقد الاجتماعي، ومعيار الشرعية من الأوتوقراطية إلى حقوق الإنسان، وشعار الدولة من التيقراطية إلى الديمقراطية¹... الخ¹. وبصرف النظر عما في هذه النعوت من تمجيد عاطفي لشخصية الطهطاوي وإشادة حماسية بأفضاله على النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر، فإن ما يهمنا هنا هو الأثر الذي خلفه، بترجماتة المباشرة أو غير المباشرة، في الفكر النضوي. لقد أقام الطهطاوي في باريس خمس سنوات (1825-1831) قضاها دارسا للغة الفرنسية والعلوم العصرية ومتخصصا في الترجمة من الفرنسية. وهذه السنوات الخمس كونت شخصيته الفكرية، وشكلت مواقفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأثرت في اختياراته الترجمية محتوى وأسلوبا، وهو ما يتضح من أشهر كتبه: "تخليص الإبريز..." والحقيقة أن هذا الكتاب لم يكن تأليفا كله، ففيه صفحات كثيرة مترجمة سواء في الجغرافيا أو الفلك أو حفظ صحة الأبدان أو التاريخ، لكن أهم النصوص المترجمة التي تضمنها هو، دون شك، نص الدستور الفرنسي المعلن سنة 1814. وإعجاب الطهطاوي بالدستور الفرنسي - أو كما يسميه: الشرطة (charte) - إعجاب كبير لما يتضمنه من "العدل والإنصاف" كما يقول. ومن خلال ترجمة الطهطاوي للدستور الفرنسي وتعليقه عليه وشرحه لبعض فصوله تعرف القارئ العربي، لأول مرة، على أفكار ومفاهيم سياسية جديدة أنتجها فلاسفة عصر التنوير ومفكروه، منها أن الأمة مصدر السلطات، وأن الحكم عقد بين الحاكم والمحكوم، وأن

¹ - انظر مثالا: سامي خشبة: "رفاعة رافع الطهطاوي: المفكر والمعلم بالترجمة الآداب، 1977/7، ص

السلطات ثلاث، وأن الحكم المقيد يقتضي الفصل بين السلطات، وأن الشعب - أو الرعية كما يقول - يحكم من خلال مجلس النواب أو ما يسميه هو "ديوان رسل العمالات"...إلى غير ذلك من المفاهيم الحديثة كالانتخاب، وحرية الرأي، والصحافة...الخ¹. وتلتقي مثل هذه الأفكار والمفاهيم الدستورية والسياسية مع ما تضمنته أنواع أخرى من ترجماته أخصها ترجمة رواية "مغامرات تليماك" لفنلون (Fénélon) التي جعل الطهطاوي عنوانها في الترجمة العربية "مواقع الأفلاك في وقائع تليماك" وقصد بترجمتها أن تعبر عن معارضته لسياسة الحكم المطلق.

وللطهطاوي مساهمات مهمة في ترجمة الكتب التاريخية والجغرافية والقانونية مثل القانون المدني والقانون التجاري الفرنسيين...الخ" ولا شك أن الأجيال التالية للمعلم الأول، قد جاهدت لكي تكمل طريقة، وكان عليها أيضا أن تجاهد ضد ذلك المخطط الذي أردنا أن نتخلف في طريق المعرفة والحرية. ولعلنا نستطيع في إعادة اكتشاف معنى العمل الذي حققه "جدنا الجليل" أن نعود إلى طريق المستقيم"².

الخاتمة:

حاولنا في هذا الورقة أن نعالج العلاقة المتبادلة بين الترجمة والفكر النهضوي وتأثرا وتأثيرا، منزلين هذه العلاقة في إطارها الزمني وسياقها التاريخي، ومستشهدين عليها ببيانات إحصائية تتصل بعدد المترجمات ولغاتها ومواضيعها والفئات التي استهدفتها.

¹ - انظر: رفاعه رافع الطهطاوي: تخلص الإبريز...مرجع سابق، ص 227 - 240.

² - سامي خشبة: "رفاعه رافع الطهطاوي..."، مرجع سابق، ص38.

لقد بدأت الترجمة العربية في العصر الحديث في لبنان منذ القرن السادس عشر بداية دينية وتبشيرية، وأصبحت في القرن التاسع عشر "علمانية" لمقاومة التتريك بإحياء اللغة العربية واستخدامها لغة تدريس في بعض الكليات العلمية، وازدهرت الترجمة في مصر في القرن التاسع عشر استجابة لحاجة محمد علي وبعض خلفائه إليها في تعليم العلوم تأهيلا لإطارات الجيش والدولة، كما عرفت بعضا من ذلك الازدهار في تونس أثناء حكم أحمد باي ووزارة خير الدين استجابة لنفس الدواعي والأسباب. ولا شك أن أقطارا عربية أخرى، كسوريا والعراق والمغرب، قد عرفت نشاطا مماثلا إبان القرن التاسع عشر الذي وصف بأنه "عصر النهضة العربية". وقد اتضح مما سبق أن النخبة السياسية والفكرية في القرن التاسع عشر قد علقت آمالا كبيرة على الترجمة خاصة، والاقتباس من الغرب عامة، في إحداث التغيير الذي يبني الدولة ويحقق المناعة ويعصم من التسلط والاحتلال الأجنبيين. كما اتضح أنه كان لجهود النخبة الفكرية ولتأهيل المترجمين عبر البعثات إلى الخارج وإنشاء المدارس المتخصصة والحزم في الإنجاز دور كبير في تحقيق حركة الترجمة للمهام التي أنيطت بها والأهداف التي رسمت لها، وهو ما قد يتبين من عدد الكتب المترجمة ولغاتها ومواضيعها والجمهور الذي استهدفته من جهة، وبعض ملامح تأثير الترجمة في مجالات التعليم والإدارة والقضاء واللغة والأدب والفكر السياسي...الخ من جهة أخرى.

على أن تقييم أثر الترجمة في الفكر النضوي لا يمكن أن يتم بمعزل عن تقييم النهضة نفسها، لأن الترجمة مكون من مكونات النهضة وعنصر من عناصر الدينامية النضوية ومقوم من مقوماتها. وقد اختلف الدارسون في

تقييمهم لنهضة القرن التاسع عشر عامة، وللنموذج النضوي المصري في عصر محمد علي وخلفائه خاصة، وإن كان هذا التقييم سلبيًا في غالبه. فقد وصفت النهضة العربية الحديثة بأنها "لم تكن حتى الآن نهضة بالمعنى الجدي لمفهوم النهضة" وإنما كانت "نهضة سطحية ذات طابع دفاعي أمام الغزو الإمبريالي، وحتى الآن لم تتحرك هذه النهضة من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم، وقد أخذت أحيانًا أشكالًا لا عقلانية، منها نفث الغبار عن حضارة الأجداد للتباهي أمام الحضارة الإمبريالية الغربية بأن العرب كان لهم أيضًا ماضٍ مجيد"¹. ومن نتائج هذه "النهضة السطحية" في مجال الترجمة أن الأفكار الجديدة هزت "ركائز المجتمع العربي في عصر النهضة دون أن تعطي الترجمة ثمارًا يانعة كما تم في العصر العباسي"²، و"أن أمهات الكتب التي أسست حركة الفكر والحداثة العقلية في أوروبا منذ ثلاثمائة سنة وحتى اليوم لا تزال تنتظر من يترجمها أو يلخصها أو يعرفها بشكل من الأشكال في لغتنا"³. وفي هذا السياق يؤخذ على الترجمة في القرن التاسع عشر عامة وفي مصر خاصة أنها لم تنطلق من حاجيات المجتمع العربي الحقيقية، وأن "أغلب البعثات التي أوفدها محمد علي ركزت على أفكار القرن السابع عشر والثامن عشر لأوروبا البرجوازية، ولم تتعرض للتعريف بأوروبا الثورية، في الوقت الذي كانت فيه الرأسمالية تدخل مرحلة الانتقال إلى

¹ - بسام طيبي: "حول حركة ترجمة الأعمال العلمية والأدبية..."، مرجع سابق، ص 117.

² - مسعود ضاهر: "الاتجاهات الأساسية لحركة الترجمة في لبنان والوطن العربي"، الوحدة، س 6، ع 62/61 (أكتوبر - نوفمبر 1989)، ص (45 - 56)، ص 52.

³ - هاشم صالح: "دور الترجمة في تشكيل الفكر العربي المعاصر"، الوحدة س 6، ع 62/61 (أكتوبر - نوفمبر 1989)، ص (20 - 29)، ص 22.

النظام الاحتكاري، وتنتهياً للصراع على المستعمرات، وهو ما لاحظته عبد الله النديم بدقة، فوصفهم بأنهم عادوا غرباء عن أمتهم¹.
والحقيقة أن الحكم للترجمة في عصر النهضة أو عليها رهين بموقفنا من النهضة نفسها، وبنوع تقييمنا لعلاقتنا بالغرب وموقفنا منه، وهي قضية طرحت، منذ نهاية القرن التاسع عشر، لدى زعماء الإصلاح. وإذا كان جمال الدين الأفغاني (1838 - 1879) قد نعى على المصريين تقليد الغرب وإنشاء المدارس على الطراز الأوربي وإرسال البعثات إلى أوروبا قائلاً: "شيد العثمانيون المصريون عددا من المدارس على النمط الجديد، وبعثوا بطوائف منهم إلى البلاد الغربية ليحملوا ما يحتاجون إليه من العلوم والمعارف والصنائع والآداب وكل ما يسمونه تمدنا، وهو في الحقيقة تمدن البلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع المدني"²، فإن علما آخر من أعلام الإصلاح والنهضة هو الأمير شكيب أرسلان (1871-1946) يشيد بدولة محمد علي الذي حمل الأمة على طلب العلوم قائلاً: "ولم يكن محمد علي عالما وربما كان أميا، ولكنه بعث مصر من العدم إلى الوجود في زمن قصير، وصيرها في زمانه من الدول العظام بسائق هذا العلم الأعلى الذي هو العقل السليم والإرادة، وهو الذي يبعث صاحبه إلى التفتيش عن العلوم وحمل الأمة عليها"³.

¹ - محمد حافظ دياب: "الترجمة وأسئلة النهضة"، مرجع سابق، ص 37.

² - جمال الدين الأفغاني: ماضي الأمي وحاضرها وعلاج عللها، العروة الوثقى، دار الكتاب العربي، بيروت 1970، ص 54.

³ - الأمير شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مكتبة الحياة، بيروت (د.ت)، (167ص)، ص 164.

